اسم الدرس : سورة سبأ | ج٤ | الآيات [٢٤ : ٣٣]

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

تفسير سورة سبأ ج٤

بسم الله الرحمن الرحيم

{قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[سبأ ٢٤-٣٣]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد صلى الله عليه وسلم.

نبدأ بمراجعة سريعة لمجالس التفسير السابقة في سورة سبأ:

نستكمل بإذن الله -عز وجل- تفسير سورة سبأ، كنا توقفنا عند قول الله ﷻ {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[سبأ ٢٤]

نتخيل سياق السورة، بدأت السورة بآية {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ}[سبأ ١]، أن الله ﷻ يملك كل شيء، إذًا السورة بدأت بأن الملك بيد الله ﷻ.

الآية الثانية أن الله ﷻ يعلم ما في السماوات وما في الأرض {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ}[سبأ ٢]. إذًا **بدأت السورة بالملك التام والعلم التام للملك** -سبحانه وتعالى-.

ثم ذكر الله ﷻ أن هناك **يوم قيامة** سيأتي وسيحاسب كل شخص على كل ذرة فعلها.

ثم أخبر الله ﷻ أنه **يوجد فريقان من الناس**:

- فريق {سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ}[سبأ ٥] أي فريق حاول أن يحارب دين ربنا ﷻ {سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ}[سبأ ٥]، كنا قلنا سعوا: أي بذلوا أقصى ما عندهم من طاقات وإمكانيات. في آياتنا: أي لحرب الآيات وخاصة القرآن. معاجزين: يريدون أن يظهروا أن القرآن عاجز، يريدون أن يقولوا للناس أن القرآن عاجز.
- وفريق من الناس عكس الفريق الأول يدعو إلى دين الله ﷻ {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ}[سبأ ٦]، وقلنا هم لم يروه فقط أنه حق، بل يرون -كذلك- أنه يهدي، أي يرون أن القرآن حق و أنه يهدي.

بعد هذه المقدمة ذكر الله ﷻ **نموذجين**:

- نموذج لمن آتاه الله الملك وشكر، ونموذج لمن آتاه الله الملك وكفر.
- نموذج لمن آتاه الله الملك وشكر: سيدنا داوود وسيدنا سليمان، ونموذج لمن آتاه الله الملك وكفر: قوم سبأ {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ}[سبأ ١٥]، وتكلمنا عن فوائد ذكر هذه القصة هنا في هذه السورة.

دلالة ورود كلمة "قل" في الخطاب القرآني :

بعد هذا الشوط الطويل من الوضوح و التبيين والنقاشات والمجادلة و أن الله ﷻ هو الذي يملك، وأن الله ﷻ هو الذي يعلم، في النهاية **سنجد أن سورة سبأ من أكثر السور التي جاءت فيها كلمة "قل"**، أكثر سورة في القرآن جاءت فيها كلمة "قل" هي **سورة الأنعام**، جاءت أكثر من أربعين مرة؛ ودائمًا

السور التي يأتي فيها كلمة "قل" كثيرا تدل على المحاجة والمجادلة والإعلام وإن هذه المعلومات لابد أن ننشرها للناس، وأن أمامنا تيار معاكس يحاول أن يحارب دين ربنا.

ماهي دلالة تكرار "قل" في سورة سبأ بوجه خاص؟

سنجد أن في سورة سبأ أربع آيات متتالية تبدأ بكلمة "قل"، كذلك في ختام السورة –هذه من الأشياء التي تذكر في الألغاز القرآنية– سورة في خواتيمها خمس آيات متتاليات تبدأ كلمة "قل" هي سورة سبأ. فهنا بعد شوط طويل من التوضيح والتبيين سنجد أربع آيات متتالية تبدأ بكلمة "قل"؛ **لأن الأمر أصبح واضحا**؛ أسئلة متتالية تُسأل وتُجاوب ثم ينتقل السياق للدار الآخرة.

تأمل أفعال الله، فالله هو الملك الحق الخالق الرزاق .. أخبرهم بذلك وستجدهم يقرون بربوبية الله تعالي لكنهم يشركون ألوهيته فتعالي الله عما يشركون.

أول سؤال أو أول كلمة "قل" {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[سبأ ٢٤]، كأن الآية جاءت بعد ما قال الله أنه ألان لسيدنا داود –عليه السلام– الحديد، وسخر الريح والجن لسيدنا سليمان–عليه السلام–، وأعطى الملك لسبأ، ثم أخذ الملك من سبأ، آلهتكم أنتم ماذا تفعل؟ {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[سبأ ٢٤]، هل آلهتكم تنزل لكم المطر؟ هل آلهتكم تخرج النبات من الأرض؟ كما قال تعالى{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ}[الملك ٣٠]، نحن عندما نكون في منتصف البحر، المشركون أنفسهم لما كانوا في منتصف البحر والموج يأتي عاليا ماذا يقولون؟ يقولون يا رب، يعلمون أنه ليس لهم أحد في هذا المكان غير "يا رب".

ويروى في قصة إسلام عكرمة بن أبي جهل، وكان ابن رأس الفساد أبو جهل، النبي ﷺ قال (لو رأيتموه متعلقا بأستار الكعبة اقتلوه)[١]، فخرج هاربًا وركب البحر وهرب، و هو في منتصف البحر الموج اضطرب فوجد الناس تلقي بالأصنام في البحر فقال لهم: ماذا تفعلون؟ قالوا يا عكرمة هذا يوم لا ينفع فيه إلا من في السماء وقالوا: يا رب، فقال عكرمة: كذلك كل الأيام لا ينفع فيها إلا من في السماء، **فعاد عكرمة تائبًا وأسلم ونصر دين الله** –عز وجل– **ومات شهيدًا في سبيل الله.**

[١] [عن أنس بن مالك:] أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ، دَخَلَ عامَ الفَتْحِ وعلى رَأْسِهِ المِغْفَرُ، فَلَمّا نَزَعَهُ جاءَ رَجُلٌ فَقالَ: إنَّ ابْنَ خَطَلٍ مُتَعَلِّقٌ بأَسْتارِ الكَعْبَةِ فَقالَ: اقْتُلُوهُ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣٠٤٤ • [صحيح]

الشاهد أن هنا الآيات دائمًا قلنا أن القرآن يبين للإنسان مدى **الضعف البشري** عند الإنسان. يذكره بلحظات المرض، يذكره باحتياجه للرزق، يذكره بلحظات الموت{كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى}[العلق ٦-٧] فالإنسان طول ما هو مستغني يشعر أنه غير محتاج لله.

التنزل في الخطاب:

هنا مسألة يسمونها التنزل في الخطاب، عندما تناقش أحدا، كي لا تستفزه ولا تغضبه...تقول له: تعالَ لنتناقش طالما أنت تقول أن هناك آلهة، وأنا أقول: لا إله إلا الله، بالتأكيد أحدنا صواب والآخر خطأ – هذا أسلوب معروف جدا في المناظرة، ويشكل ضغط نفسي على من أمامك– تقول له: أحدنا سيدخل الجنة والآخر سيدخل النار؛ لأنه **ليس هناك شيء اسمه أن الجميع على حق**، **بل هناك منهج حق واحد واضح** .. فهنا بعد النقاش الطويل يصل معهم لنوع من المفاصلة ولكن دون استفزاز، لماذا؟ لأن دائمًا يُقال: "مقام الهداية أولى من مقام النكاية"، أي أنك تهدي من أمامك أفضل من أن تطعنه.

"مقام الهداية أولى من مقام النكاية" أنا ممكن أسخر منه، وهو في كل الأحوال مشرك، أنا ممكن أسخر منه ولكن بهذا سأخسره، لذلك هذا الأسلوب يستعمل آخر الأساليب عندما نستنفذ كل الأساليب "مقام الهداية أولى من مقام النكاية".

فهنا ننظر إلى التنزل في خطاب النبي ﷺ يقول لهم {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[سبأ ٢٤] يقول لهم: أحدنا صواب والآخر خطأ، إما أنتم على صواب وإما نحن على الصواب. –طبعًا النبي ﷺ هو من على الصواب–، لكنه يقول لهم: تعالوا نفكر معًا، أنتم تقولون: هناك آلهة متعددة وأنا أقول: إله واحد، أنتم تقولون الآلهة تشفع وأنا أقول: {وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عنده إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ}[سبأ ٢٣]، أنتم تقولون: أن هذه الآلهة ترزق وأنا أقول: هذه الآلهة لا تفعل أي شيء، أنتم تقولون: أنه لأي أحد أن يضع شرع غير ربنا، وأنا أقول: الله ﷻ هو الذي يفعل ما يشاء ويأمر بما يشاء له الخلق وله الأمر، أنتم تقولون وأنا أقول، إذًا نحن مختلفين وأحدنا على صواب، أنتم تقولون عني أني قطعت الأرحام وفرقت بين الأب والابن وأنا أقول عنكم أنكم تذبحون لغير الله و تدعون غير الله ﷻ؛ إذًا أحدنا على صواب وأحدنا على خطأ.

{وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى}[سبأ ٢٤]، لما ذكر الهدى أتى بحرف "على" **للتمكن** {لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[سبأ ٢٤] أي يقول لهم بعد النقاشات من أول السورة الحق اتضح للناس، نحن سنترك الناس تختار، وهذا الأسلوب لابد للدعاة أن يستخدموه وخاصةً في أوقات الاستضعاف، أن يبين للناس الحق من خلال القرآن، حتى لو لم يسم، حتى لو لم يقل اسم فلان الفلاني فاسد أو المذيع الفلاني يطعن في الدين، حتى لو لم يقل الأسماء؛ المفروض أن نظل نوضح الدين للناس من خلال القرآن حتى يصل الناس إلى درجة من الوضوح.

نحن نعرّفهم نقول لهم أن ربنا يقول: من يقل كذا وكذا وكذا فهو منافق، وربنا يقول والنبي ﷺ يقول أن من يقل كذا وكذا فاسق، وربنا يقول والنبي ﷺ يقول أن من سيفعل كذا وسيرفض كذا وسيوافق على كذا خسر الولاء والبراء، ومن سيفعل كذا إذًا هو يوالي الأعداء، حتى لو لم نحدد الأسماء.

بعد هذا التوضيح الناس ستعلم من هو على الحق ومن هو في ضلال مبين، كما قال ربنا: {وكذلك نفصل الآيات}[الأنعام ٥٥] **بعد ما نفصل آيات القرآن ونشرحها** ماذا سيحدث؟{ولتستبين سبيل المجرمين}[الأنعام ٥٥] **سبيل المجرمين ستظهر للناس مباشرة.**

{وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ}[سبأ ٢٤] وهذا يسمونه -كما قلنا- التنزل في الخطاب.

إذا أسلوب التنزيل في القرآن الكريم يعلمنا أسلوب المناظرة، فيعطيك قوة ويقين في الرد، فهذا الدين متين.

القرآن يُعلِّمك أسلوب المناظرة فتقول عندما تكلم أحد: انظر، أحدنا على صواب، والآخر على خطأ؛ شخص كافر يناظرك، شخص ملحد، شخص يناقشك في شيء، فأنت تقول له: أحدنا على صواب، والآخر على خطأ. متى تقول هذا الكلام؟ هذه ليست أول آية أتت في السورة، هذا بعد قصص من الذي أعطاه ربنا الملك، وقصة سيدنا داوود وسليمان وقصة سبأ.

ويقول لهم عامةً: لماذا منعتمونا من الدعوة؟

في أوقات الاستضعاف كل ما تريده فقط مساحة من الحرية للدعوة، -نحن قلنا هذه السورة نزلت في أوقات الاستضعاف-، أنت تريد مساحة من الحرية في الدعوة.

والقرآن أيضا يوضح كيفية التعامل في أوقات الإستضعاف، وتفاوت ذلك حسب المرحلة.

نجد أن القصة الأولى في سورة الكهف قصة أصحاب الكهف، والقصة الثانية قصة صاحب الجنتين، سنجد أن **القصة الأولى كانت قمة الاستضعاف**، دخلوا في الكهف، لم يستطيعوا أن يقولوا رأيهم، لم يكن هناك حرية لدرجة أن يقول رأيه! بل مَن سيقول رأيه سيُقتل.

القصة الثانية هناك مساحة بسيطة جدًا من الحرية، وهناك نقاش وحوار، {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ}[الكهف ٣٧] أي بالرغم أنه يقول لصاحبه أنت كافر، إلا إنه كان هناك مساحة من الحوار، هذا الذي نحتاجه، أنت تحتاج مساحة الآن أن تقول وتوضّح. **أنت ليست لديك مساحة الآن للتطبيق، أنت لديك مساحة من العرض فقط**. فأحيانًا هذا أيضًا لا يُسمح لك!

حال المسلمين من الدعوة في وقت الاستضعاف:

فهنا يقول لهم لماذا منعتمونا من الدعوة؟

{لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ}[سبأ ٢٥]

أي أنه يقول له: اعتبرنا مجرمين، انظر إلى التنزل في الخطاب!

أي في البداية يقول له أحدنا على صواب والآخر على خطأ، بعدها: اعتبر أننا مجرمون وأنتم صالحون!

{قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا}[سبأ ٢٥] **أتى بالإجرام للمسلمين**. وأما للآخرين {وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ}[سبأ ٢٥]. **الحريص على هداية الناس يتكلم بهذا الأسلوب، لكن الحريص على نكاية الناس لا يتكلم بهذا الأسلوب.**

أنت تريد أن تكون حريص على هداية الناس فتقول له: إذًا تعالَ، اجلس، فكِّر، اعتبرني أنا مخطئ، هناك يوم قيامة.

لذلك يقول {قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ}[سبأ ٢٥] لم يقل تجرمون؛

نلاحظ أيضا لفتة مهمة كان المتوقع: "قل لا تسألون عما نعمل ولا نُسأل عما تجرمون".

إذًا كان متوقع أني أقول أنه المجرم، وأنا لست مجرم، لكن انظر لهذا الأسلوب الذي يُسمى كما قلنا التنزل في الخطاب.

أنا سأُجاريك، أنت تقول عني أني مجرم؟ يا سيدي أنت لن تُسأل عن إجرامي...فقط دعني أدعو إلى الله، وفي كل الأحوال هناك يوم {قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا}[سبأ ٢٦] ثم ماذا؟ ثم {يَفْتَحُ}. ما معنى يفتح؟

نجد الجمهور المفسرين يقول هنا كلمة يفتح بمعنى يقضي، {ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ}[سبأ ٢٦] أي يقضي.

لِمَ لم يقل ربنا عز وجل "يقضي"؟ قالوا: لأن الفتح يأتي لشيء مغلق، فكأننا هنا في الدعوة وصلنا لقمة الإغلاق، نحن هنا وصلنا لمرحلة في الدعوة معهم أنهم يرفضون أن يسمعوك، معهم الأموال، معهم العدة، لا يريدون أن يسمعوا وقد وصلوا معك لدرجة عالية من الإغلاق، تكلمهم عن قصة سيدنا داوود، تكلمهم عن سبأ، الأموال التي معكم هذه قد تذهب كما كانت مع سبأ، وهم يرفضون سماعك. فتقول له: انظر، اعتبرني مجرمًا، دعني أعمل في الدعوة، وعامةً {يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ}[سبأ ٢٦]، الإغلاق الذي أغلقتموه في الدعوة سيفتحه الله. مهما فعل أهل الباطل وأغلقوا من قنوات الدعوة ومسالك الدعوة في الواقع، الله عز وجل يفتحها.

{ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ}[سبأ ٢٦] **ربنا عليم عندما يفتح**، قد يكون أحد القضاة غضبان يعني يقضي بغضب، لكن الله سبحانه وتعالى هو الفتاح العليم، لا يظلم أحدًا.

{قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ}[سبأ ٢٦]. هذه الآيات مهم أن يستحضرها المسلم في زمن الاستضعاف، لأن المسلم في زمن الاستضعاف -كما قلنا- قد يصيبه اليأس، الأوضاع مغلقة... كل شيء ممنوع، ممنوع يتكلم في الدعوة، ليس معه أموال، لا يستطيع أن ينصر الدين.

تخيل الواقع في مكة، قريش معها الأموال، معها العدة، مسيطرة على الإعلام، مسيطرة على كل شيء، المسلم هنا قد يصاب باليأس، يقول:إذًا، وماذا بعد ذلك؟

هذه الآيات من سورة سبأ تخاطب المسلم الحق الحريص علي نشر الدين الحق

فيجب هنا أن نتذكر هذه المعاني التي في هذه السورة. هذه المعاني يجب أن تكون دائمًا في قلب المؤمن ولا يشعر بقيمة هذه المعاني إلا الحريص على نشر الدين.

أحد يقول مثلاً أنا لا أشعر أن هذه المعاني تُغذي قلبي، فنقول أن المعاني هذه لا يشعر بقيمتها إلا الحريص على نشر الدين، إلا مَن يتقطع ويتمنى أن ينتشر الدين، أي ينام يحلم، قال النبي صلى الله عليه

وسلم:(من لم يغز أو تحدثه نفسه بالغزو مات على شعبة من شعب النفاق)[٢] فمَن لا تُحدثه نفسه بالدعوة إلى الله لا يشعر بقيمة هذه المعاني.

تكلمنا عن أفعال الله وأقروا هم كذلك بها، الآن نسألهم عن أفعال شركائهم ؟

في النهاية يقول لهم {قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ}[سبأ ٢٧] مثله تمامًا في سورة الرعد {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ}[الرعد ٣٣]، أي في سورة الرعد يقول لهم الرسول ﷺ: ربنا قائم على كل نفس بما كسبت، الله عز وجل يرزق كل نفس، ويمد بالقوت كل نفس، ويعلم ما تكسب كل نفس، ويعلم خواطر كل نفس، وهو يحدد أجل كل نفس، ثم تتخذون شركاء! {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ}[الرعد ٣٣]هؤلاء الشركاء ماذا يفعلون؟!...فأنت هنا في آخر جملة تتركهم وتقول لهم: {قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ}[سبأ ٢٧] أروني أين الشركاء، ماذا يفعلون؟

أنا أقول لكم ربنا يفعل كذا وكذا وكذا، {كلا} أي لا إله إلا الله {كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[سبأ ٢٧].بعد الأربع آيات المفتتحة بكلمة قل، كأن هناك إشارة {وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ}[محمد ٣٨].

ربنا ماذا يقول؟{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ}[سبأ ٢٨] إذا لم يستجيبوا للكلام، ربنا سيأتي بمَن يسمع ويستجيب.

وهنا تحذير لمن لم يحمل هم الدعوة، فالدين لا يقف على أحد فهو قائم بذاته، لكنه يحرم الأجر ويأتي الله بغيره. فاحذر أن يستبدلك الله. وبالفعل أعرض أهل مكة عن الدعوة فيسَّر الله عز وجل لها أهل المدينة. يجب أن نعرف هذا، **أن الدعوة ليست هي مَن تحتاج الناس، الناس هم الذين يحتاجون للدعوة.**

مَن سيُعرِض عن دين الله عز وجل سَيُيسر الله عز وجل من يحمل هذا الدين، فربنا يقول: أنت ستقول لهم قل قل قل أربع مرات كلمة قل، وفي النهاية إذا لم يسمعوا الكلام فاتركهم وشأنهم.

ما وظيفة النبي ﷺ ؟ {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ **بَشِيرًا وَنَذِيرًا**}[سبأ ٢٨] ماذا يعني بشيرًا ونذيرًا هنا؟ ما دورهما؟ {بَشِيرًا وَنَذِيرًا}[سبأ ٢٨] أي ليس من وظيفة النبي ﷺ أن يأتي لهم بالمعجزات، أقصد

[٢] [عن أبي هريرة:] مَن ماتَ ولَمْ يَغْزُ، ولَمْ يُحَدِّثْ به نَفْسَهُ، ماتَ على شُعْبَةٍ مِن نِفاقٍ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١٩١٠ • [صحيح]

أي ليس من وظيفة النبي ﷺ أن يجيب مقترحاتهم .. هم استمروا بقولهم –سنرى الآن أنهم يقولون كلاماً غريباً جدًا–. وظيفة النبي ﷺ البشارة والنذارة فقط.

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ}[سبأ ٣١].

ولماذا ليست وظيفته أن يأتي بمقترحاتهم ؟ لأنهم يماطلون فقط، يطلبون من باب المجادلة.

مرة يقول المشركون: أنت لم تأتِ لنا بآيات مثل موسى عليه السلام... لماذا؟

نحن نريد عصا مثل عصا سيدنا موسى، أو نحن نريد كتاب مثل التوراة لا نريد القرآن، أو أنزل لنا كتابا من السماء، أو اصنع لنا نفقا في الأرض، أو اصنع لنا سلما نصعد به في السماء وظلوا متعنتين في طلب الاقتراحات.

فربنا يقول للنبي ﷺ : ليس هذا من وظيفتك، بل وظيفة النبي ﷺ والدعاة من بعده البشارة والنذارة، ثم بعد ذلك مَن يؤمن سيؤمن.

لذلك إذا انشغل الدعاة إلى الله عز وجل بأن يجيبوا طلبات المتعنتين، لن يصلوا لشيء؛ لأنه كلما يطلب طلب تحققه له، "نريد نفقا في الأرض، نريد سلما في السماء"، ستفعله، سيقول لك: لا هذا السلم لا يعجبني، اجعل لنا نفقا في الأرض، فيجعل لهم نفق في الأرض، لا .. بل اجعل لنا الصفا ذهبا، حسنًا سأجعل لكم الصفا ذهب، يجعل لهم الصفا ذهب، فيقولون لا هناك منقطة في الجبل لم تصبح ذهبًا، .. سيتعنتون في طلب الآيات.

مَن يؤمن سيؤمن من البداية! القرآن كافٍ، لذلك هم في إحدى المرات قالوا {لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ}[القصص ٤٨] –سورة القصص–، قالوا لماذا لا يأتي بتوراة مثل توراة موسى!

هنا قالوا له: نحن لا نؤمن بالتوراة أو بالقرآن {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ}[سبأ ٣١] أي أننا لا نؤمن بأي كتاب من السماء، متى قالوا هذه الكلمة؟ حينما حُوصروا في النقاش هنا في السورة. فربنا يقول:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا}[سبأ ٢٨]: هذه الوظيفة لو غابت عن الدعاة فهم يلتفتون عن الطريق الأساسي لهم، **الطريق الأساسي هو البشارة والنذارة** {وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[سبأ ٢٨].

حين يكثر الإعراض واللغو والعناد، يذكرهم الله بأخوف ما يخافونه "يوم القيامة".

{وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}[سبأ ٢٩] ما علاقة هذا السؤال بسياق الآيات؟ الكلام عن الله الرزاق، الله الإله الواحد. دائمًا نقول أن هذه النقطة مهمة في القرآن، وتتكرر كثيرًا جدًا، ما هي هذه النقطة؟: الغرض الأساسي من رفض الدعوة، أو الحقيقة الأساسية ليست في عدم الاقتناع بالقرآن أو عدم اقتناع بالمعجزات، السبب الرئيسي للرفض: الخوف من الحساب على المعاصي .. هذه حيلة نفسية للهروب، هو ينكر يوم القيامة فحسب.

كما قال ربنا ﷻ : {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ}[القيامة ١-٣] ماذا يقول المشرك؟ أنا لست مقتنعًا بيوم القيامة، يقول: إنه ليس معقولًا بعدما يتحلل الإنسان في الأرض أن يصحو مجددًا، مستحيل!

الحقيقة أن هذه ليست المشكلة التي لديه، ليست المشكلة عدم اقتناعه؛ إذًا ما المشكلة؟ ماذا يقول ربنا؟ {بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ}[القيامة ٥] المشكلة: أنه لا يريد يوم قيامة؛ فمشكلة العلمانيين عندما يقولون أن الدين في المسجد ولا دين خارجه، مشكلتهم ليست مع الشريعة، مشكلتهم ليست عدم اقتناع بالتشريعات القرآنية. هم ماذا يقولون؟ التشريع كان في الماضي ولم يعد يناسب العصر، يظلون يرددون حججًا كثيرة وهذه ليست الحقيقة، **الحقيقة أنهم لا يريدون يوم القيامة!**

لو حللت له كل مشاكله، فهو خائف أن يحاسب على أعماله -اختصارًا- هو خائف من الحساب على أعماله.

{وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}[سبأ ٢٩] يأتي في النهاية ويقول: اسمع، سواءًا كان هناك كتاب أو لا، أنا لست مؤمنًا بيوم القيامة، كما قال المشركون -وقد فسرناها من قبل في درس آخر-، رفضوا القرآن ورفضوا النبي ﷺ بسبب البعث، فكانوا صريحين؛ اليهود لم يفعلوا هذا، اليهود كانوا خُبَثاء بعض الشيء، كانوا يريدون أن يكفروا بالبعث لكن أخذوا يلفون ويدورون، -وستأتي معنا آيات عن اليهود إن شاء الله- بينما المشركون كانوا صرحاء {وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}[سبأ ٢٩] فأنت تقول لهم {قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ}[سبأ ٣٠]

الجواب هنا **جواب الواثق**، كما قلنا أن **القرآن يتخطى مرحلة إثبات يوم القيامة إلى ما سيحدث في يوم القيامة**، أكررها، القرآن يتخطى مرحلة إثبات يوم القيامة إلى ماذا سيحدث يوم القيامة، مثلما يقول المثال المشهور: يقول لك أحدهم أنه ليست هناك امتحانات، لا يوجد شيء اسمه امتحانات، وأنت لا تحاول إقناعه أن هناك امتحانات، فماذا تقول له؟ قول له يوم الامتحان آت وسترسب وسيحدث لك كذا وكذا، أنت هنا تجاوزت مرحلة الإثبات إلى مرحلة ما سيحدث.

فهنا عندما قالوا: أنه لا يوجد يوم قيامة، قال لهم ربنا: {قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ}[سبأ ٣٠] وبدأ ربنا يقول لنا ماذا سيحدث لهم يوم القيامة.

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِن} بمَ؟ {بِهَٰذَا الْقُرْآن} هذا الذي معك {لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ}[سبأ ٣١] **دائمًا المشركون عندهم مشكلة مع القرآن**.

ماذا قالوا للرسول ﷺ ؟ في سورة يونس {ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ}[يونس ١٥] يقولون المشكلة أن القرآن الذي معك واضح، صريح، لا إله إلا الله، الذي يحكم هو الله، وأن هناك بعث، وستحاسب على كل ذرة، قالوا له: هاتِ لنا قرآنًا آخر يكون ((طيبًا))! لا يكون فيه نار، لا يكون فيه كلام عن النار، هاتِ لنا دينًا جديدًا {ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا}[يونس ١٥].

أو ماذا؟ {أَوْ بَدِّلْهُ ۚ}، فرفض النبي ﷺ، قال لهم {قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ}[يونس ١٥] **أنا وظيفتي الإنذار والبشارة**، أنا عبد، أمرني الله ﷻ بأمر.

فلما وجدوا النبي ﷺ مصممًا أنه لن يأتي بقرآن آخر، قالوا إذًا اسمع: {لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ}[سبأ ٣١] .. مشكلتهم أنهم **يعرفون أن مكمن قوتك في القرآن**.

مرة أخري نتذكر : سياق سورة سبأ.

إذًا لئلا ننسى جو السورة؛ جو السورة أن المشركون معهم العدة والأموال والعتاد، وسيأتي معنا قول الله -عز وجل-{وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا}[سبأ ٣٥] لدينا أموالا كثيرة، إذًا هم معهم مال كثير، لم

هم خائفون منك؟ أنت لا تملك شيئًا، أنت في هذه السورة مستضعف فقير، ليس معك شيء، لكن ربنا قال لنا في أول السورة: {وَالَّذِينَ سَعَوْا} فيمَ؟ {فِي آيَاتِنَا}[سبأ ٥].

ماهو سعي المشركين ؟ وكيف ينفذون خطتهم ؟

هم يركزون جهودهم كي يضربوك في القرآن

هم يعلمون مركز قوتك، لذلك يريدون أن يصرفوا الناس عن القرآن، فماذا يفعلون؟

يبعدوننا عن اللغة العربية؛ بحيث عندما يأتي أحد ليقرأ القرآن لا يفهم شيئًا، أو يحاول أن يقرأ تفسير القرآن، أيضًا لا يفهم شيئًا، فيقرأ تفسير التفسير وأيضًا لا يفهم شيئًا؛ فأصبحت هناك فجوة بين الناس والقرآن.

يجعلون الدين أمرًا فرعيًا عند الأطفال، والطفل ينشأ في المدارس أنه ليس مهمًا أن يكون عنده معلومات عن القرآن، وقد تجد شخصًا لديه شهادات عالية جدًا في الدنيا ولا يستطيع أن يقرأ الفاتحة، لا يعرف كيف يقرأ الفاتحة بشكل صحيح، والله -عز وجل- كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم يبغض كل عالم بالدنيا جاهل بالآخرة؛ لأن العالم بالدنيا هنا كان عنده قدرات أن يفهم في الدين، لكنه أعرض عن ذلك! فهم بذلوا أموالهم وطاقتهم في صرف الناس عن القرآن.

كل المجهود الرئيسي كي لا يرتبط الناس بالقرآن.

لماذا ؟ لو ارتبط الناس بالقرآن فكثير من المشاكل التي نراها في الواقع لن نجدها، كثير من الشبهات التي تقال في التلفاز لن يكون لها أية قيمة، كثير من الشبهات التي تقال في الإعلام لن يكون لها أية قيمة، لو ارتبط الناس بالقرآن حقًا، سيعرفون من المؤمن ومن المنافق، هم سيعرفون، الناس سيعرفون، ستجد أحدهم يقول: ما هذا؟ فلان يقول كذا وكذا وربنا يقول في القرآن كذا وكذا! كيف يخالف فلان دين الله ؟! ربنا قال في القرآن: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}[المائدة ٤٤]

كيف يرفض فلان كذا؟ كيف يوالي فلان اليهود والنصارى؟ وربنا يقول {وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ}[البقرة ١٢٠]

فستكون عنده **قواعد واضحة مستمدة من القرآن.**

لكن لأننا ابتعدنا عن القرآن، فسهُل على الأعداء أن يصرفوا الناس عن دينهم!

فهو كل غرضه أن يصرفك عن القرآن، كل غرضهم صرف الناس عن القوة الحقيقية للمسلمين، الكتاب الوحيد على وجه الأرض الذي لم يبدل ولم يغير هو "**القرآن**".

المسلمون هم من معهم الحق الأوحد بالقرآن، كتاب لا يبدل ولا يغير إلى يوم القيامة هو القرآن، الوحي الصادق الثابت على مدار التاريخ هو القرآن، فهم يعلمون نقطة قوتك ويريدون أن يصرفوك عنها.

لذلك {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا}[سبأ ٣١] قيل معنى الكفار هنا أي الملأ المستكبرون،أي "وقال المستكبرون منهم لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه"

تفاصيل حال المكذبين يوم القيامة :

بعدها ربنا نقلك مباشرة من مكانِه في الدنيا لمكانِه في الآخرة {وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ}[سبأ ٣١]

مشهد الحوار في النار –نعوذ بالله عز وجل من النار– بين المستضعفين والمستكبرين أتى في القرآن كثيرًا جدًا، في سورة البقرة، في سورة الأعراف، في سورة غافر، وأتى معنا في سبأ، وفي الأحزاب، وفي ص، أتى في أكثر من مكان في القرآن، وكل موقف في القرآن يعالج قضية معينة.

وقفة تدبرية ونظرة إلي حال المستكبرين والمستضعفين :

مسألة المستكبرين والمستضعفين هذه نقطة مهمة جدًا، لمَ؟ لأن ربنا –سبحانه وتعالى– فطر الناس هكذا؛ أن هناك أناس قادة عندهم القدرة على القيادة، وآخرين يتبعونهم، فلن يكون كل الناس دعاة، فهناك أُناس يمكن أن يكونوا دعاة وأناس تتبع كلامهم، وآخرون سيكونون أئمة وهناك من يتبع كلامهم، لكن كما أن هناك أئمة يهدون إلى الحق، فهناك أئمة يهدون إلى النار.

ربنا قال هذا أن فرعون والذين معه كانوا أئمة يهدون إلى النار، فكما أن هناك قادة وملأ ونخبة يهدون الناس إلى الحق، فهناك مثلهم أيضًا استعملوا طاقاتهم وتلك القدرات في الدعوة إلى الباطل، هناك أناس أعطاهم الله القدرات لهذا، فلو قلنا مثلًا – كنِسَب–، سنجد أن أي دولة أو مكان ما من الممكن أن

يكون هناك خمسة بالمئة منهم فقط هم من عندهم القدرات للقيادة، والباقي يسمع ويفكر ويختار و يَتبع، إنما لا يستطيعون أن يكون عندهم القدرة على القيادة.

فعندما يتسلط ويتصدر ملأ ظلمة فجرة مستكبرون، يصرفون الناس عن الدين، والأتباع يمشون ورائهم، فهذه النقطة كانت محتاجة إلى تحليل **وخاصةً أن هذا موجود إلى يوم القيامة؛**

أي أن فكرة الديمقراطية وأن يختاروا فئة تمثل الشعب، تلك فكرة خادعة؛ لأنه مهما كان فهي عبارة عن قلة متحكمة في الشعب، هم قلة يستغلون وسائل إعلامية معينة ووسائل مادية معينة يضحكون بها على الناس، فيختارهم الناس ويصيروا هم من يتحكمون في مصائر الناس، ففي النهاية مهما يحدث ستظل هناك قلة متحكمة في الناس. هذه القلة لو ساروا على الباطل فإنهم يصرفون كثيرًا من الناس إلى الفساد.

فربنا –سبحانه وتعالى– في أكثر من موطن يأتي بمشهد الحوار والجدال والصراع واللعن بينهم وبين بعضهم البعض: بين المستكبرين وبين المستضعفين.

وصف حال مستكبرين يوم القيامه،يوم لا ينفع مال ولا بنون!

معنا هنا {وَلَوْ تَرَىٰ}[سبأ ٣١] كأن ربنا يقول : ماذا لو رأيت من يقف متجبرًا ومتكبرًا في الدنيا ويقول: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه...لو رأيت منظره في الآخرة لرأيت شيئًا –لذلك جواب لو محذوف–؛ لرأيت منظرًا فظيعًا لا يوصف!

لو رأيت المستكبرين في الدنيا الذين يستكبرون على الناس لو رأيتهم في الآخرة لرأيت مشهدًا عجيبًا!

آيات تسكب الطمأنينة في قلب المؤمن.

هذه الآيات المسلمين كانوا يحتاجون إليها في هذا الوقت، المسلم وهو يقرأ هذه الآيات في قيام الليل {وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ}[سبأ ٣١]، هذه الآيات تُنزل طمأنينة على قلبه، كأن الذي يوقف الناس ويضربهم ويسألهم، سيأتي يوم هو الذي سيُوقف ويُسأل، هو الذي سيُسأل! وينادى {وَقِفُوهُمْ} فيُفزعوا كلهم ويقفوا {إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ}[الصافات ٢٤].

{وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ}[سبأ ٣١] ماذا؟ موقفون لن يمروا، سيُوقفون، قف، أنت فعلت كذا وعملت كذا وقلت كذا، سيُحاسب، فأهل الإيمان الذين كانوا منعوا من الصلاة في الكعبة، ومنعوا من أن يجتمعوا، و الذين منعوا من الحج والعمرة... يطمئنوا.

أهل الايمان حين يسمعون هذا الكلام يطمئنون، استحضار هذه الآيات مهم؛ يسكب الطمأنينة في قلب الداعية، في قلب العامل لدين الله عشز وجل.

{وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ **الظَّالِمُونَ**}[سبأ ٣١] الظالمون هل هنا المستكبرين أم المستضعفين؟ ما رأيكم؟

الاثنين، لأن المستكبر ظالم لأنه ظلم الناس، والمستضعف ظالم لأنه ظلم نفسه.

نأتي الآن لمعنى كلمة "استضعفوا"؟ في سورة البقرة {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ **اتُّبِعُوا** مِنَ الَّذِينَ **اتَّبَعُوا** وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ **اتَّبَعُوا** لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً}[البقرة ١٦٦-١٦٧]، هناك تكررت كلمة اتُبعوا و اتَبعوا، ولم تأتِ هناك المستكبرين والمستضعفين ،هنا جاء تكرار ثلاث مرات كل آية تكرر فيها كلمة الذين استكبروا والذين استضعفوا، إذًا **بالتأكيد لها دلالة**.

في **سورة البقرة كانت تحارب التقليد والتبعية**؛ لأن اليهود قالوا: سنتبع سادات اليهود، ورفضوا اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، و قريش قالوا سنتبع ما وجدنا عليه آبائنا، فكانت المشكلة في بناء الدولة التبعية والتقليد، فعالجتها سورة البقرة.

هنا في سورة سبأ المشكلة أن أناسًا معهم أموال ومعهم عدة وعتاد {نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا}[سبأ ٣٥] فأصبحوا مستكبرين، فالمستضعفين كانوا خاضعين للمستكبرين.

بمعني أن الحال مختلف ففي سورة البقرة هم اختاروا أن يتبعوهم لكن في سوة سبأ أصبحوا مستضعفين بسبب التفاوت الطبقي أو اختلاف مكانتهم في المجتمع

{وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ}[سبأ ٣١] من الظالمون؟ الاثنين، المستكبر ظالم والمستضعف أيضًا ظالم، تخيل! **الضعيف** الذي يقول أنا ليس لي دخل "أنا عبد المأمور"، هذا ظالم؟ نعم، **ظالم لنفسه**.

{وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ}[سبأ ٣١] كان في الدنيا يفعل ما يريد، لا يسأله أحد عما يفعله، يضرب ويسرق أموال الناس، ويتصرف على هواه؛ لكن يأتي يوم القيامة يقف ويُسأل على كل

فعلة فعلها، {وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ}[سبأ ٣١] ، يختلفون مع بعض، {يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْض} ماذا؟ {الْقَوْلَ}،

مثل سيدنا إبراهيم لما قال لهم في سورة العنكبوت {وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا} لماذا؟ {مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}[العنكبوت ٢٥]، كنتم تفعلون حركات مخادعة بينكم، كنتم تقسمون الأموال بينكم، وكنتم تختلقون حركات وأفكار مخادعة مثل القومية، والوطنية، وأمور مثل ذلك تضحكون بها على عقول الناس، وكانت هذه التي تجمعكم على المودة، طرحتم دين ربكم جانبًا، {ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} ماذا سيحدث؟ {يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا}[العنكبوت ٢٥]. تخيل من كانوا يحبون بعضهم في الدنيا لأجل مصالحهم الدنيوية وكانوا يتبادلون المنافع الدنيوية وكانوا ((سمنة على عسل في الدنيا)) ويقولون: راعيني وأراعيك، أنا أفعل كذا، وأنت تفعل كذا، وكانوا يسيطرون على الوضع الاقتصادي مثلًا في مكة، يأتون يوم القيامة يلعن بعضهم بعضًا، يسب بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضًا، ويكفرون ببعض.

هنا المستضعفين طيلة عمرهم صامتون ولا يعترضون ينفذون الأوامر وهم صامتون، يقال له: سُب النبي ﷺ، يسُب، سُب الصحابة يسُب، سُب الدعاة يسُبهم، قل شبهات في الدين ونعطيك الأموال يقول شبهات .. حاضر، افعل كذا، حاضر، افعل كذا، حاضر، ثم يأتي المستضعفون يتكلمون، لكن متى؟ يوم القيامة، بعد فوات الأوان، {يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا}[سبأ ٣١]، ما معني استكبروا واستضعفوا؟ [الألف والسين والتاء] نسميها الالف والسين والتاء **للطلب** مثال: كلمة استفهم ألف وسين وتاء بمعنى طلب الفهم.

فكلمة "استكبر" طلب من نفسه أن يكون متكبرًا، هو أحب أن يكون متكبرًا، هذا المستكبر هو يتكبر على نفسه أم على الناس؟ على الناس، وإن لم يجد أناس يتكبر عليهم سيتكبر؟ لا لن يتكبر، كما يقول المثل المشهور: "لن يستطيع أحد أن يركب على ظهرك إلا إذا كنت منحنيًا"، وأيضًا كما يقول المثل العامي : "يا فرعون إيه اللي فرعنك قال: ما لقيتش حد يردني"! هذا بالضبط ما يحدث، فالمستكبر هو طلب الكبر من الناس فأعطوه، قالوا: موافقين أنك تكون متكبر.

وأما "استضعف": استضعف فعل مبني للمجهول؛ بمعنى المستكبرين طلبوا من الضعفاء أن يكونوا ضعفاء، الضعفاء وافقوا، قالوا:"سنكون غلابة، احنا لن نقول لأ، اللي هيتقال هنقول له حاضر،

هنمشي جوا الحيط، مش هنتكلم في حاجة" هؤلاء من؟ استضعفوا طُلب منهم الاستضعاف فرضوا بذلك.

الفريقين كان عندهم عمى ألوان، الاثنين عندهم مقاييس غير صحيحة. المستضعف يرى نفسه حقير، يرى نفسه ضعيف، يرى نفسه ليس له قيمة بدون المستكبر، يرى أنه لا يستطيع أن يعيش إلا في جناب المستكبر، هكذا يرى نفسه!. والمستكبر يرى نفسه أعلى من الناس، المستضعف يرى نفسه أقل من الناس والمستكبر يرى نفسه أعلى من الناس. القرآن يصحح هذه النظرة؛ المستكبر مريض، والمستضعف أيضًا مريض.

إذا كلا الفريقين ظالم لنفسه، فما هو الضابط حتي تخرج من كلتا الدائرتين ؟

لذلك حين كان لقمان ينصح ابنه يقول له: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ}[لقمان ١٨]، فقالوا تصعر خدك للناس ما معني "تصعر"؟ فيقولون: الصعر هذا مرض يصيب الإبل يجعلها لا تستطيع تحريك رقبتها للأسفل، فتكون الإبل تسير ترفع رقبتها لأعلى، هذا مرض عند الإبل. فالمتكبر أصلًا إنسان مريض؛ الذي لا ينظر للناس ولا يراعي حقوقهم هذا إنسان مريض.

كذلك المستضعف إنسان مريض يرى نفسه أقل من أن يقف ويقول الحقيقة، حدث له نوع من نزع الإنسانية ونزع العقل ونزع المشاعر ونزع الضمير، مات! كل هذا بداخله مات، صار يرى الجريمة ويسكت، يرى الظلم ويسكت، يرى ويعلم أن هذا ظلم ويظل صامتا! تعايش مع هذا؛ المستضعف أصبح إنسان مريضا أصبح يتعايش مع الظلم، أصبح يمر في الطريق يرى ولد يعترض طريق فتاة فلا يدافع عنها، يتركهم ويمر، أصبح يتعايش مع هذا الوضع. يقول:"يا عم أنا مالي دعوة!"، أصبح يرى أحدهم يسرق ولا يحاول منعه، أصبح فيه نوع من التعايش، هذا المرض عندما ينتشر في مجتمع ينهار!!!

فالمستكبرين عندما يجدون المستضعفين يسمعون الكلام ويطيعون، فالمستضعفين بدأوا يستفيقون، فذهبوا ليعاتبوا المستكبرين؛ لذلك كلمة المستضعف و المستكبر تكررت هنا ثلاث مرات، {يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا}[سبأ ٣١]، تجمع المستضعفون وذهبوا ليعترضوا على المستكبرين، ولكن أين؟ في النار، لم يعد لكلامهم هذا قيمة!، جاء بعد فوات الأوان، هذا الكلام كان سيفيدهم لو قالوه لما كانوا في الدنيا، ماذا قالوا؟ {لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ}[سبأ ٣١].

الآن نشاهد ندم المستضعفين بعد فوات الآوان ، يلقون باللوم علي من أتبعوهم في الضلال.

نريد أن نقف مع كلمات هذه الآية{لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ}[سبأ ٣١].

أول كلمة، كلمة {لَوْلَا}، ما معنى "لولا"؟ -سنذكر جزء لغوي- حرف لو في اللغة يسمونه: حرف امتناع لامتناع. يعني أقول لك مثلًا، لو جئتَ لأطعمتُك، فأنت لم تأتِ، فأنا لم أُطعِمك. لو أنك أتيت؛ لأطعمتُك. فيقولون امتنع أمرُ إطعامك؛ لامتناع مجيئك.

إذًا "لولا" ماذا تعني؟

"لولا": حرف امتناع الوجود، أى لولا أنك موجود لكنت فعلت كذا وكذا؛ كذا وكذا امتنعَ لأجل ماذا؟ لأنك موجود، لذلك يسمونه حرف امتناع الوجود. أي امتنع إيمانُنَا بسبب وجودكم.

أكرر: إذًا ماذا تعني الآية؟ امتنع إيمانُنَا بسبب ماذا؟ ليس بسبب صدِّكم عن الدين، ولا بسبب فُجركم، ولا بسبب أموَالكم. بسبب ماذا؟ **مجرد وجودهُ كان يُخِيفُه!**

يقولون لولا ماذا؟ "**أنتم**". ليس لولا جهدكم، -سيعود بعد ذلك عندما يرد عليه المستكبر سيعود فيقول له{بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}[سبأ ٣٣]-. إنما في البداية يقول له {لَوْلَا أَنتُمْ} من شدة رَهبتُه للمستكبرين، مجرد وجودهُ كان يُخِيفُه! ،هذا بالنسبة لكلمة "أنتم"

إذًا ماذا عن "**لولا**" هذه بالنسبة لنا؟

كل واحد مِنّا يقول "لولا" هذه في شيء!؛ عندما تأتي تحدثه عن الدين فيقول لك: "لولا العمل والله لفعلتُ كذا وكذا"، تحدثهُ عن القيام، تحدثهُ عن الإنفاق يقولُ لكَ: "لولا الأولاد، لولا الفِتن، لولا الأزمة، لولا كذا وكذا... لا أدري ماذا"! كل واحد منا بعد كلمة لولا هذه يضع شيئًا يخصُّه **شمَّاعة**.

وبعدها كلمة "لكنا مؤمنين" يضعون: لولا كذا لكنا من الدعاة، لولا كذا لكنا من العاملين لدين الله، لولا كَذا لكنا من القائمين الليل. كل واحد في حياته "لولا" يجب أن تُكسر، يجب ألا تكون في حياة المؤمن. "لولا" هذهِ يجب أن يحذفها المؤمن من حساباتِه، **وخاصَّة البشر**؛ فلا أحد يدّعي أن هناك شخص يُوقفه عن شيء.

يُقال الإمام السَرخَسِي كتب كتابًا –من أقوى كُتب فقه الأحناف– أنه سقط في بئر أو حُبس في بئر فألف كتابًا من خمسة عشر مجلدًا وهو في البئر. لم يمنعهُ حبسُهُ في بئرٍ من أن يؤلف كتابًا من أفضل الكتب في فقه الأحناف.

وغيره، كالإمام ابن القيّم كتب "زاد المعاد" وهو في رحلة إلى الحج، وابن تيمية كتب في السجن من أفضل ما كتب أشياء في فهم كتاب الله ﷻ.

فلا تجعل الظروف مانِعة من البذل والعطاء، لا يوجد شيء اسمهُ إنها الظروف، ذلك لا يُجدِي نفعًا، لا يوجد شيء يُسمى "إنها الظروف"، هذا ليس عذرًا.

ممكن تغير الوسيلة، فعندما منعوا الرسول ﷺ ذهب إلى المدينة، لم يقل "نحن حاولنا وذهبنا إلى الحبشة وذهبنا إلى الطائف لقد فعلنا ما بِوُسعنا" لا لم يقل هذا!

تظل تجرِّب، ولو لم تَصلُح المدينة كان سيجرب في غيرها وغيرها وغيرها إلى أن يموت كما أخبر النبي ﷺ (حتى تنفرد هذه السَالِفة)[٣] حتى أموت، حتى لو أنه ستُقطع رقبتي سأظل أمشي في هذا الطريق.

فلا يوجد شيء اسمه "لولا" ؛ يقول لولا أن البيت مَنعني. وراء كل مُلتزم هناك قصةُ كفاح، وراء كل مُلتزمة هناك قصةُ كفاح، وراء كل داعية هناك قصة كفاح. نحن نرى النتيجة النهائية ونقول "نريد مثلها، مثل منظر الشهيد الذي يموت مبتسمًا نقول: نعم، نُريد اللقطة الأخيرة هذه؛ أنا أريد أن أفعل هكذا، وأبتسم ويصورونني ويكتُبون على صفحتي على الفيس "قبل أن يموت كتب لا إله إلا الله" مثلًا!.

أنا ماذا أريد؟ أريد النهاية. **وماذا عن الطريق؟**، {وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ}[آل عمران ١٤٣]، أنت دائمًا عندك تصورات عن الأشياء، لا تريد أن تَبذل لها، لديك تصور النهاية فحسب!

{لولا أنتم} فيجب أن تحذف "لولا" هذه، فتبذل حتى تلقى الله –عزَّ وجلَّ–...{لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ}[سبأ ٣١]

[٣] يا ويح قريشٍ لقد أكلتهم الحربُ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائرِ العربِ. فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ! وإن أظهرني اللهُ عليهم دخلوا في الإسلامِ وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوةٌ، فما تظن قريشٌ؟ فواللهِ لا أزال أجاهدُ على الذي بعثني اللهُ به حتى يظهرَه اللهُ أو تنفردُ هذه السالفةُ - يعني الموتَ.
الألباني (ت ١٤٢٠)، فقه السيرة ٣٢٤ • صحيح وهو قطعة من حديث طويل في صلح الحديبية وقد أخرجه البخاري

ولكي تتخلي عن كلمة "لولا" من حياتك عليك أن تتذكر موقفك في يوم القيامه أيضا يقول ربنا ﷻ { بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ }[القيامة ١٤-١٥].

يوم القيامه هو اليوم الذي يفتدي فيه المرء بأمه وأبيه، أفلا يفتدون بمن أتبعوهم؟ بلي. ولذلك يجيبون عليهم في هذا الجدول والصخب العالي بينهم يوم القيامة.

المستكبرون لن يسكتوا، فلقد دفنوهُ سويًا كما يقال -أي كان هناك اتفاق من قبل الطرفين-، ويعلمون تمامًا أن المستضعفين كانوا يأخذون المقابل، وكانوا سعداءَ وراضينَ عن الوضع، وقد كان هناك غيرهم مستضعفين أيضًا قام وقال كلمة الحق، فلماذا أنتم آثرتم السكوت والرضوخ؟

فالمستكبرون -بعد افتضاح الأمر- يردون، {قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ} **أنحن؟**، {أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ}[سبأ ٣٢] **أنتم أردتم الفسق**، نحن كنا فَسَقَة، وأنتم كنتم تريدون الفسق فجئتم معنا. هل نحن دعوناكم للفِسق؟ وماذا عن الدعاة الذين دعوكم للإيمان، لماذا لم تذهبوا معهم؟، كان هناك غيركم، ستقول لأنكم كنتم تعذبونا، **وماذا عن الذين عذبناهم مثلكم وثبتوا على الحق؟**

الناس سيكونون حجة على بعضهم يوم القيامة، سنكون حُجَجًا على بعض! ستقول أنا لم أستطِع، فربنا سيُحضر شخصًا ظروفه مثلُ ظروفكَ بل أقل، واستطاع، سيكون حُجّةٌ عليك، نحن سنصبح حُجَجًا على بعض يوم القيامة.

فالمستكبرون يقولون للمستضعفين {أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ} .. {عَنِ الْهُدَىٰ} الكلمة هذه تُعرفك **أن المستكبر** والّذي معهُ المال يعلم أنه **لو جاءَهُ الهدى** والله مهما فعل، لو الهدى دخل القلب، **مهما فعل أهل الباطل** وأنفق في قنوات و مواقع فاسدة وصَرف مال الأرض لكي يصرف الناس عن الدين، **والله لن يتمكنوا من إضلاله.**

لذلك هِرَقل عندما كان يسأل أبو سفيان يقول له:"أتباعه -أتباع النبي صلى الله عليه و سلم- من الفقراء أم من الأغنياء؟"، قال:"من الفقراء" قالَ:"يزيدون أم ينقصون؟" قال:"يزيدون". قال:"هل يرتَدَّ أحدٌ منهم سخطًا عن دينه؟" -هل هناك أحد بعد أن يمشي معه ويصلي قيام ويمارس الدعوة يرجع

ويقول هذا الدين سيء-، قال: "لا" -لا يوجد أحد أبدًا سلك طريق الله فترة ورجع-، فقال هِرَقل:"كذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب"[٤].

فالمستكبرون يفهمون حقيقة الإيمان! يقول للمستضعف أنت كذَّاب، و{أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم}[سبأ ٣٢]؟ فالمستكبر دوره ألا يَصل الهدى، الهدى لو وَصل القلب، المستكبر يعلم أنهُ لن يستطيع فِعل أيّ شيءٍ.

[٤] [عن أبي سفيان بن حرب:] انْطَلَقْتُ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي وبيْنَ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قَالَ: فَبَيْنَا أنَا بالشَّأْمِ، إذْ جِيءَ بكِتَابٍ مِنَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى هِرَقْلَ، قَالَ: وكَانَ دَحْيَةُ الكَلْبِيُّ جَاءَ به، فَدَفَعَهُ إلى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بُصْرَى إلى هِرَقْلَ، قَالَ: فَقَالَ هِرَقْلُ: هلْ هَا هُنَا أحَدٌ مِن قَوْمِ هذا الرَّجُلِ الذي يَزْعُمُ أنَّه نَبِيٌّ؟ فَقالوا: نَعَمْ، قَالَ: فَدُعِيتُ في نَفَرٍ مِن قُرَيْشٍ، فَدَخَلْنَا علَى هِرَقْلَ فَأُجْلِسْنَا بيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: أيُّكُمْ أقْرَبُ نَسَبًا مِن هذا الرَّجُلِ الذي يَزْعُمُ أنَّه نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أبو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أنَا، فأجْلَسُوني بيْنَ يَدَيْهِ، وأجْلَسُوا أصْحَابِي خَلْفِي، ثُمَّ دَعَا بتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: قُلْ لهمْ: إنِّي سَائِلٌ هذا عن هذا الرَّجُلِ الذي يَزْعُمُ أنَّه نَبِيٌّ، فإنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ، قَالَ أبو سُفْيَانَ: وايْمُ اللَّهِ، لَوْلَا أنْ يُؤْثِرُوا عَلَيَّ الكَذِبَ لَكَذَبْتُ، ثُمَّ قَالَ: لِتَرْجُمَانِهِ، سَلْهُ كيْفَ حَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: هو فِينَا ذُو حَسَبٍ، قَالَ: فَهلْ كَانَ مِن آبَائِهِ مَلِكٌ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بالكَذِبِ قَبْلَ أنْ يَقُولَ ما قَالَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: أيَتَّبِعُهُ أشْرَافُ النَّاسِ أمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ، قَالَ: يَزِيدُونَ أوْ يَنْقُصُونَ؟ قَالَ: قُلْتُ لا بَلْ يَزِيدُونَ، قَالَ: هلْ يَرْتَدُّ أحَدٌ منهمْ عن دِينِهِ بَعْدَ أنْ يَدْخُلَ فيه سَخْطَةً له؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَكيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إيَّاهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: تَكُونُ الحَرْبُ بيْنَنَا وبيْنَهُ سِجَالًا يُصِيبُ مِنَّا ونُصِيبُ منه، قَالَ: فَهلْ يَغْدِرُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، ونَحْنُ منه في هذِهِ المُدَّةِ لا نَدْرِي ما هو صَانِعٌ فِيهَا، قَالَ: واللَّهِ ما أمْكَنَنِي مِن كَلِمَةٍ أُدْخِلُ فِيهَا شيئًا غيرَ هذِه، قَالَ: فَهلْ قَالَ هذا القَوْلَ أحَدٌ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ له: إنِّي سَأَلْتُكَ عن حَسَبِهِ فِيكُمْ، فَزَعَمْتَ أنَّه فِيكُمْ ذُو حَسَبٍ، وكَذلكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ في أحْسَابِ قَوْمِهَا، وسَأَلْتُكَ: هلْ كَانَ في آبَائِهِ مَلِكٌ، فَزَعَمْتَ أنْ لَا، فَقُلْتُ: لو كَانَ مِن آبَائِهِ مَلِكٌ، قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ آبَائِهِ، وسَأَلْتُكَ عن أتْبَاعِهِ أضُعَفَاؤُهُمْ أمْ أشْرَافُهُمْ، فَقُلْتَ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ، وهُمْ أتْبَاعُ الرُّسُلِ، وسَأَلْتُكَ: هلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بالكَذِبِ قَبْلَ أنْ يَقُولَ ما قَالَ، فَزَعَمْتَ أنْ لَا، فَعَرَفْتُ أنَّه لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الكَذِبَ علَى النَّاسِ، ثُمَّ يَذْهَبَ فَيَكْذِبَ علَى اللَّهِ، وسَأَلْتُكَ هلْ يَرْتَدُّ أحَدٌ منهمْ عن دِينِهِ بَعْدَ أنْ يَدْخُلَ فيه سَخْطَةً له، فَزَعَمْتَ أنْ لَا، وكَذلكَ الإيمَانُ إذَا خَالَطَ بَشَاشَةَ القُلُوبِ، وسَأَلْتُكَ هلْ يَزِيدُونَ أمْ يَنْقُصُونَ، فَزَعَمْتَ أنَّهُمْ يَزِيدُونَ وكَذلكَ الإيمَانُ حتَّى يَتِمَّ، وسَأَلْتُكَ: هلْ قَاتَلْتُمُوهُ فَزَعَمْتَ أنَّكُمْ قَاتَلْتُمُوهُ، فَتَكُونُ الحَرْبُ بيْنَكُمْ وبيْنَهُ سِجَالًا يَنَالُ مِنكُم وتَنَالُونَ منه، وكَذلكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى ثُمَّ تَكُونُ لهمُ العَاقِبَةُ، وسَأَلْتُكَ هلْ يَغْدِرُ فَزَعَمْتَ أنَّه لا يَغْدِرُ، وكَذلكَ الرُّسُلُ لا تَغْدِرُ، وسَأَلْتُكَ: هلْ قَالَ أحَدٌ هذا القَوْلَ قَبْلَهُ، فَزَعَمْتَ أنْ لَا، فَقُلْتُ: لو كَانَ قَالَ هذا القَوْلَ أحَدٌ قَبْلَهُ، قُلْتُ: رَجُلٌ ائْتَمَّ بقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: بمَ يَأْمُرُكُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَأْمُرُنَا بالصَّلَاةِ والزَّكَاةِ والصِّلَةِ والعَفَافِ، قَالَ: إنْ يَكُ ما تَقُولُ فيه حَقًّا، فإنَّه نَبِيٌّ، وقدْ كُنْتُ أعْلَمُ أنَّه خَارِجٌ، ولَمْ أكُ أظُنُّهُ مِنكُمْ، ولو أنِّي أعْلَمُ أنِّي أخْلُصُ إلَيْهِ لَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، ولو كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عن قَدَمَيْهِ، ولَيَبْلُغَنَّ مُلْكُهُ ما تَحْتَ قَدَمَيَّ، قَالَ: ثُمَّ دَعَا بكِتَابِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقَرَأَهُ: فَإِذَا فيه بسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِن مُحَمَّدٍ رَسولِ اللَّهِ إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ علَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أمَّا بَعْدُ: فإنِّي أدْعُوكَ بدِعَايَةِ الإسْلَامِ، أسْلِمْ تَسْلَمْ، وأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فإنْ تَوَلَّيْتَ فإنَّ عَلَيْكَ إثْمَ الأرِيسِيِّينَ، و: {يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بيْنَنَا وبيْنَكُمْ، أنْ لا نَعْبُدَ إلَّا اللَّهَ} إلى قَوْلِهِ: {اشْهَدُوا بأنَّا مُسْلِمُونَ} فَلَمَّا فَرَغَ مِن قِرَاءَةِ الكِتَابِ، ارْتَفَعَتِ الأصْوَاتُ عِنْدَهُ وكَثُرَ اللَّغَطُ، وأُمِرَ بنَا فأُخْرِجْنَا، قَالَ: فَقُلْتُ لأصْحَابِي حِينَ خَرَجْنَا: لَقَدْ أمِرَ أمْرُ ابْنِ أبِي كَبْشَةَ، إنَّه لَيَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأصْفَرِ، فَما زِلْتُ مُوقِنًا بأَمْرِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّه سَيَظْهَرُ حتَّى أدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الإسْلَامَ، قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَدَعَا هِرَقْلُ عُظَمَاءَ الرُّومِ فَجَمَعَهُمْ في دَارٍ له، فَقَالَ: يا مَعْشَرَ الرُّومِ، هلْ لَكُمْ في الفَلَاحِ والرُّشْدِ آخِرِ الأبَدِ، وأنْ يَثْبُتَ لَكُمْ مُلْكُكُمْ، قَالَ: فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الوَحْشِ إلى الأبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قدْ غُلِّقَتْ، فَقَالَ: عَلَيَّ بهِمْ، فَدَعَا بهِمْ فَقَالَ: إنِّي إنَّما اخْتَبَرْتُ شِدَّتَكُمْ علَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ مِنْكُمُ الذي أحْبَبْتُ فَسَجَدُوا له ورَضُوا عنْه.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٤٥٥٣ • [صحيح]

هُنا تُعلمك **خطط أهل الباطل**، دور أهل الباطل في شيئين: عدم وصول الهدى للناس، وعدم وصول الناس للهدى.

عدم وصول الهدى للناس: يمنع الداعية، يحبسه، يقتله {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا}[الأنفال ٣٠] ربنا يقول للنبي ﷺ الكفار يريدون أن يفعلوا معك شيئًا من ثلاثة{لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ}[الأنفال ٣٠] يثبتوك يعني يسجنوك.

ثلاث اختيارات لأهل الباطل مع الدعاة العاملين لدين الله؛ إما السجن، أو القتل، أو النفي. فدور أهل الباطل هو عدم وصول الهدى للناس، وعدم وصول الناس للهدى.

إذًا عدم وصول الهدى للناس أخبرنا سيحدث الثلاثة أشياء مع الداعية.

إذًا **عدم وصول الناس للهدى**، –هو لا يستطيع فعل ذلك مع الناس كلها–، لا يستطيع مع جماهير البشر، لا يستطيع أن يسجنهم أو يطردهم، سيعيش وحده في البلد، فماذا يفعل معهم؟ **يُؤجج لهم الشهوات**، هذه هي مكر الليل والنهار، **فتن** مثل {لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ}[فصلت ٢٦]

أغاني وما شابهها...عندما يُقرأ القرآن ارفعوا أصوات الأغاني، هذا أقصى ما يستطيعه أهل الباطل.إنما إن وصلتَ للهدى أو الهدى وصلَ إليكَ فلن يستطيع أن يفعل شيئًا.

هل يستطيع أحد أن ينجوا منهم؟ أجل،تستطيع أن تكون الناجي، إذا دخل الإيمان قلبك .. ولا يكون هذا بمجهودك إنما هو محض فضل من الله بعد أن تسأله أن يرزقك هذا الفضل.

أحد معاني قول الله –عزَّ وجلَّ– {وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا}[النساء ١٤١] أي على قلوبهم، لو الإيمان دخل قلبك فلا يستطيع أحدٌ أن ينزعهُ أبدًا. (القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن)[٥].

[٥] [عن جابر بن عبدالله:] كان رسولُ اللهِ ﷺ يكثرُ أنْ يقولَ يا مقلبَ القلوبِ ثبتْ قلوبَنا على دينِكَ فقال لهُ رجلٌ مِنْ أصحابِهِ تخافُ علَيْنا وقدْ آمنّا بِكَ وبِما جئتَ بِهِ فقال القلوبُ بينَ إصبعَينِ مِنْ أصابعِ الرحمنِ عز وجل يقولُ بِها هكَذا
الجورقاني (ت ٥٤٤)، الأباطيل والمناكير ١/١٧٣ • صحيح

فالكفار يفهمون ذلك، يقولون للمستضعفين: الهدى وصل إليكم، بدليل وجود ناس بجانبكم آمنوا وثبتوا. {أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ}[سبأ ٣٢] بعد ماذا؟ {بعد إذ **جاءكم**} فكأنه يقول له أنا دوري كان

متمثلًا في أن أصدَّ الهدى عن أن يأتي إليك، لكن الهدى وصلَ إليكَ، وأنت الذي اخترتني وتركت أهل الحق. {أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ **بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم** ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ}[سبأ ٣٢] أي أنتم من كنتم غَاوِين!

لا يوجد مفر يحتج كلا منهم علي الآخر .. أين يذهبون؟ تبقي لهم المستكبر المضل المغوي الأكبر: **الشيطان**

كما قلنا الشيطان سيقول لهم نفس الكلمة، فهم سيجتمعون مع بعضهم البعض ويذهبوا للمستكبرين، فالمستكبرين سيتركوهم. فيجمعوا بعضهم البعض ويذهبوا للشيطان، فالشيطان يخطب فيهم خطبة في النار {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ **إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ** ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ}[إبراهيم ٢٢]

وقلنا جاءت هنا في السورة {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ}. وربنا يقول بعدها: {وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ} ربنا ذكر هنا أن الشيطان لم يكن له سلطان عليهم، وذكر أن المستكبرين كذلك لم يكن لهم عليهم سلطان، أي أن هذا ليس عذرًا. من سيعتذر بالشيطان أو بالمستكبرين لن يُقبل منه يوم القيامة. المستكبرون سيهربون منه: {أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتم مُّجْرِمِينَ}[سبأ ٣٢] ... {فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ}[الصافات ٣٢] أي نحن كنا غَاوِين و أنتم كنتم غَاوِين فالتقينا مع بعضنا البعض. فقط كانت القسمة –أي الأرزاق– أننا معنا الأموال وأنتم كنتم ضعفاء.

وفي النهاية: {وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}[مريم ٩٥] - {فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ}[الفجر ٢٥]. لم ينفعهم أحد.

و كل واحد يُبتلى على قدر دينه، وكل واحد يُبتلى على حسب وضعه المعين. **كل واحد سيحمل تبعة اختياره يوم القيامة.**

المستضعفين بدأوا يقولوا كلمة الحق ويشهدوا علي بطلان أعمال المستكبرين التي شهدوها في الدنيا. كلمات الحق تلك التي لو كانوا قالوها في الدنيا وأقروا بها واستقاموا لنجوا.

المستضعفون سيردون؛ **سيَفْضَحُون**، فطالما أن المستكبرين بدأوا يفضحوهم وقالوا لهم أنكم أنتم كنتم مجرمين، فكذلك بدأت الفضائح تظهر، بدأ المستضعفون يقولون الأسرار التي كانت تحدث، لأن هؤلاء المستضعفين كانوا في داخل القصر، مثل الذين كانوا مع فرعون في الداخل، كانوا يعلمون الخطط التي كانت تُدبر .. هؤلاء المستضعفون كانوا يأخذون الأموال كي يصمتوا، أو يُضْربوا كي يصمتوا، فالمستضعفون حين وجدوا أن المستكبرين فضحوهم قالوا: إذًا نحن كذلك سنقولما كان يحدث {بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}[سبأ ٣٣].

استمرارية عمل أهل الباطل:

أنتم كنتم تخططون ليلًا ونهارًا كي تصرفوا المسلمين عن الدين. أنتم أنفقتم أموالا على مواقع تصرف الناس سواءًا بشبهات أو شهوات، على قنوات شبهات أو شهوات، ونشر في الواقع شبهات أو شهوات. أنتم بذلتم مجهودًا، لم تكونوا تناموا. من لا ينامون ليسوا الصغار، من لا ينامون هم الكبار، المستكبرون الكبار. أي أن قادة أهل الباطل لا ينامون! فلماذا نحن لا نعمل لدين الله –عز وجل– إذا كان المستكبرون الذين هم القادة لا يرتاحون؟

مثلًا، نحن لدينا في العمل الدنيوي –خاصة في مصر– أنت تريد أن تترقى لأن كلما ستترقى كلما ترتاح، ويصبح لك مكتب، وتجلس على راحتك، وتلعب على الإنترنت على راحتك ولن يكلمك أحد. أي أن كلما ستترقى في العمل ستجد راحة.

أما الباطل –أهل الباطل– كلما يترقون يبذلون أكثر. الشيطان طلب أن يُؤَخَّر إلى يوم القيامة. فهو سيظل يعمل إلى يوم القيامة، ليس فترة ويموت ويستريح، لا! –وهو لن يستريح عمومًا على أية حال. {قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ}[الأعراف ١٤] لا يريد أن يفوته أحد!. انظر إلى علو الهمة! ويعمل مع الواحد منا منذ متى؟ من سن كم؟ من أول ما يُولد! (ما من مولود يولد إلا و ينخسه الشيطان فيستهل

صارخا إلا ابن مريم و أمه)[٦] استجابة لدعاء أمها {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}[آل عمران ٣٦] أي أنه يريد كل الناس، بكل الأعمار. تخيل الشيطان! انظر إلى التمدد الأفقي والرأسي لعمله. فأهل الباطل كلما يترقى، يبذل.

فالمستضعفون يقولون لمن هم فوقهم: أنتم كنتم تعملون ليلًا نهارًا لا تنامون {بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}[سبأ ٣٣]، ماذا كان الغرض الرئيسي لهم؟ المستضعفون أتوا بالخلاصة لأنهم كانوا يعملون معهم في الداخل. والخلاصة أنتم تريدون أن يكفر الناس بالله أو يجعلون له أنداد. إما أن يكفر أو أن يجعل له أنداد.

تجدهم **يضربون في التوحيد**، كما أن الجن أول ما أسلموا قالوا: أن الشيطان كان يجلس معنا جلسات يعطينا دروسًا في العقيدة؛ ولكن في العقيدة الباطلة {وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا}[الجن ٤] الشيطان يركز. لذلك نحن تكلمنا من قبل في "لو" ولماذا تفتح عمل الشيطان. الشيطان يركز ويعلم متي يأتي لو!، "لو" هذه فيها نوع من الاعتراض على القدر؛ قدر الله -سبحانه و تعالى-. فأي اعتراض على القدر أو على الشرع تجد الشيطان متواجد.

الشيطان يعرف كيف وأين يعمل .. (المرأة إذا خرجت استشرفها الشيطان)[٧] مباشرة يعرف متى يتحرك و متى يعمل، قاعد في الأسواق يرفع رايته هناك، يعرف متى يتحرك.

فملخص عمل أهل الباطل {إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا}[سبأ ٣٢] هذا ملخص العمل.

لدرجة أنه من الممكن أن يعمل للأطفال -وأظن أن هذا الموضوع انتشر جدا – هناك مثلا قناة اسمها إم بي سي ٣ تقريبًا. عملوا كرتون ٩٩ شخصية، كل شخصية فيهم باسم -والعياذ بالله- من أسماء الله؛

[٦] [عن أبي هريرة:] ما مِن مَوْلُودٍ يُولَدُ إلّا نَخَسَهُ الشَّيْطانُ، فَيَسْتَهِلُّ صارِخًا مِن نَخْسَةِ الشَّيْطانِ، إلّا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ. ثُمَّ قالَ أبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: {وَإنِّي أُعِيذُها بكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ}[آل عمران: ٣٦]. وفي روايةٍ: يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صارِخًا مِن مَسَّةِ الشَّيْطانِ إيّاهُ. وفي حَديثِ شُعَيْبٍ مِن مَسِّ الشَّيْطانِ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٣٦٦ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٤٥٤٨)، ومسلم (٢٣٦٦) واللفظ له

[٧] [عن [عوف بن مالك بن نضلة أبي الأحوص]:] عن ابنِ مسعودٍ قال صلاةُ المرأةِ في بيتِها أفضلُ من صلاتِها في حُجرتِها وصلاتُها في حُجرتِها أفضلُ من صلاتِها في دارِها وصلاتُها في دارِها أفضل من صلاتِها فيما سواها ثم قال إنَّ المرأةَ إذا خرجَتْ استشرفَها الشيطانُ
الهيثمي (ت ٨٠٧)، مجمع الزوائد ٣٧/٢ • رجاله رجال الصحيح

يضاهئون أسماء الله والعياذ بالله. أي في الفيلم واحد اسمه الجبار، وواحد اسمه القهار، وواحد اسمه الرزاق...تخيل ٩٩ شخصية، كل شخصية باسم من أسماء الله؛ يضاهون الله –عز وجل– سبحان الله! كل شخصية تأخذ اسم من الأسماء. تخيل حين يشاهد الطفل هذا الكرتون!

وغيرها .. أغلب الأفلام الكرتونية تجد فيها إله الريح وإله غيرها، يريد للطفل ألا يكون متعلقًا بالله، يصبح مشتتا {وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادا}[سبأ ٣٣]

يأتي واحد يقول لك مستهينًا بالأمر: ياعم هذا طفل! من قال لك أن هذا لن يؤثر فيه؟ بالعكس! الطفل يصبح متشتتًا؛ ليس له وجهة واحدة، ليس {سَلَما لِّرَجُلٍ}[الزمر ٢٩] بل يقول إله كذا مسؤول عن كذا، وإله كذا مسؤول عن كذا...وهكذا؛ **فيشوهوا عقيدة الطفل**.

الشيطان يعمل على كل الأعمار، والغرض الرئيسي في النهاية أنه يريد أن يصل بك إلى الكفر على مراحل.

إذًا قلنا **علو همة الشيطان**:-

- طلب أن يُؤجَّل ليوم القيامة كي لا يفوته أحد.
- يعمل على كل الأعمار من أول الولادة إلى الممات.
- يعمل على كل المستويات أي يفعل أشياء لسن ال ٥٠ وال ٦٠ فيصرفهم عن قراءة القرآن، يفعل أشياء للأطفال، يفعل أشياء للمراهقين، يفعل أشياء للولاد، يفعل أشياء خاصة للبنات. تجد: مكر الليل والنهار... أصبح هناك تخصص في صرف الناس عن الحق.

كل هذا يصرفك عن الوحي. كما قالوا أول هذه الآيات {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ}[سبأ ٣١]

حين قال أهل الباطل {لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ}[سبأ ٣١] –وهذا الفرق بيننا وبينهم– لم يقولوها وذهبوا للنوم، لا! بل قالوها ثم جدوا واجتهدوا ليصرفوا الناس عن القرآن .. واضح؟ أي أن المستكبرون لما قالوا {لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ} لم يقولوها ثم ذهبوا وارتاحوا وقالوا: لو الناس لا تريد أن تؤمن مثلنا لا يؤمنوا، نحن نبلغ وحسب...لا.

أما نحن فنظهر ونقول: القرآن عظيم، ثم نذهب وننام، لم نعمل ونجتهد بالليل والنهار.

همة أهل الباطل ستقيم الحجة علينا في تراخينا نحن أولى منهم بذلك ومع ذلك نقصر ونلقي المعاذير.

هم يقولون {لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ}[سبأ ٣١] ثم يعملون {مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}[سبأ ٣٣] هذا هو الفرق، هذا هو الفرق بيننا وبينهم **أن أهل الباطل يبذلون**. من المفترض لنا نحن أن نبذل ايضا، فربنا يقول {إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ}[النساء ١٠٤] هم يتعبون؟ نعم يتعبون لا ينامون؟ نعم لا ينامون

يبذلون، يتصدقون للشيطان؟ نعم ينفقون الأموال.

يؤخذ من مرتباتهم أجزاء ثابتة لنشر الباطل؟ نعم

ولا يعترض؟ نعم لا يعترض؛ إذًا هو يتعب ويبذل من أجل باطله!، أما نحن نأتي عند أقل شيء ونتكاسل ونعترض، لكن ربنا يقول أنتم {وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ}[النساء ١٠٤] أنت من المفترض أن عندك نوايا، عندك ما يصبرك، وهو ليس عنده، هو يموت ويدخل النار {وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ}[النساء ١٠٤].

شدة عند المستكبرين:

الختام: {وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ}[سبأ ٣٣] أنهم وهم واقفون، عندما ظهرت الحقيقة، بدأ الكل يَنْدم! يقول ياليتني، المستضعف يقول ياليتني ما سمعت كلامهم، ياليتني ما صدقته، ياليتني ما سرت خلفه، يا ليتني كنت سرت وراء صاحبي الذي قال لي تعال إلى الحق ولا تسمع كذا. ياليتني، و يبدأ التلاوم {وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ}[سبأ ٣٣].

وقيل أن {وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ}[سبأ ٣٣] هنا عن المستكبرين؛ كان لآخر لحظة يُظهر التماسك أمام الضعفاء، فيخبئ الندامة.

وقيل هنا {وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ}[سبأ ٣٣] أن هذه مرحلة ثم ستأتي مرحلة يُظْهِر هذه الندامة.

وقيل {وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ}[سبأ ٣٣] أنه لا يستطيع أن يتكلم، مثل من أصيب بانهيار عصبي وجالس مصدوم، فهو في هذه المرحلة.

فالقرآن يتغلغل في نفوس أهل الباطل و يحدثك عما يحدث في نفوسهم يوم القيامة. القرآن هنا يحدثك بتَغَلْغُل عما يحدث داخل النفوس.

{وأَسَرُّوا النَّدَامَةَ} متى أَسَرُّوا الندامة؟ {لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ}[سبأ ٣٣] انتهى الامر! فلا الكلام سينفع، ولا النقاشات ستنفع، ولا اللعن سينفع، ولا المشاحنات ستنفع.

{وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا}[سبأ ٣٣] كما أن المستضعفين كانوا أغلُّوا عقولهم في الدنيا، كان يغلق دماغه، فسيُغَل. يقولون أن الأغلال هذه هي السلاسل التي تُسْحب بها الأنعام .. كما كان قد ترك نفسه يُسْحب فى الدنيا ولا يفكر، ولا يسأل أليس هناك تناقض في كلام الرجل؟ أليس كذا؟ أليس كذا؟

عندما تقرأ الخرافات التي كان يقولها مسيلمة على أنها قرآن –مسيلمة الكذاب– ويدعي أنها وحي وهو كلام يُضحك أي صبي صغير، فكان يقول: الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل، خرطومه الطويل، والعرب أهل لغة، فتتعجب كيف كان لمسيلمة أتباع؟!!

تتعجب! من الذي لا يملك بلاغة في الخطاب كيف كان لهم أتباع؟! تتعجب كيف؟! أنت تتعجب كيف لمثل هذا الشخص أن يكون له أتباع؟!

فهو –التابع– أغلق دماغه، هو ربط دماغه. فربنا يقول: كما أنك أغلقت دماغك وأصبحت تُسحب، كُنت تُسْحب فى الدنيا ولا تفكر، أنت الآن تُسْحب –والعياذ بالله–. أنت تَنَزَّلت عن مرتبة الإنسانية في الدنيا فَتَسْتَحِق أن تُعاقب بالأغلال التي هي للأنعام –والعياذ بالله– في الآخرة ..{وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا} لا يُظْلَم أحد {هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[سبأ ٣٣]

نكتفى بهذا القدر ونكمل إن شاء الله المرة القادمة سُنت المترفين، وكيف أن هؤلاء هم أكثر ناس يحاربون الدعوة، ولماذا هم أكثر ناس تحارب الدعوة؟ وما هي أفكارهم؟

نكمل المرة القادمة إن شاء الله.

نكتفي بهذا القدر، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك،

جزاكم الله خيرًا.